اذ اقوي بغضه لاخر وعظمت نفرته منه صارت نفسه معرضة عن جميع جهات
محاسن كلامه افانت تسمع الصم اي انقدر علي اسماعهم ولو كانوا مع الصمم
لا يعقلون اي لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه
دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر فكما انك
لا تقدر علي اسماع الاصم الذي لا يعقل لا تقدر علي اسماع من اصم الله قلبه
فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك
فشبههم بالصم في عدم الانتفاع بما يتلي عليهم ثم وصف القسم
الثاني في قوله تعالى ومنهم من ينظر اليك اي يعاينون دلايل نبوتك و لا
يصدقونك افانت تهدي العمي اي اتقدر علي هدايتهم ولو كانوا مع العمي لا يبصرون
اي لا بصيرة لهم لان الاعمي الذي في قلبه بصيرة قد يحدس ويظن فاما العمي
مع الحمق فجهد البلا فلا تقدر علي هداية من اعمي الله تعالى بصيرته فهو لاي
في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم و لا
بصاير فلا يقدر لهم علي اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى تنبيه اختلف
في ان السمع افضل ام البصر فمنهم من قال السمع واحتج علي ذلك بامور
منها ما تقدم في الاية ومنه ان القوة السامعة تدرك المسموعات
من جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المري الا من جهة واحدة
وهي المقابل ومنها ان الانسان لا يستفيد العلم من التعلم من الاستاذ
وذلك لا يكون الا بقوة السمع باستكمالات النفس بالكمالات العلمية لا تحصل
الا بقوة السمع ومنها ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يراهم الناس
ويسمعون كلامهم فنبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات
المرئية وانما حصلت بسبب ما معهم من الاحوال المسموعة وهو
الكلام وتبليغ الشرايع وتعليم الاحكام ومنها ان المعني الذي يمتاز به
الانسان من ساير الحيوانات هو النطق بالكلام وانما ينتفع بذلك بالقوة
السامعة فمتعلق السمع النطق الذي يحصل به شرف الانسان ومتعلق
البصر ادراك الالوان والاشكال وذلك امر مشترك فيه بين الناس وبين
ساير الحيوانات ومنهم من قال البصر واحتج بامور منها ان الة القوة
الباصرة هي النور والة القوة السامعة هي الهوا والنور اشرف من
الهوي ومنها ان جمال الوجه يحصل بالبصر وبذهابه عيبه وذهاب
السمع لا يورث الانسان عيبا في جمال وجهه والعرب تسمي العينين
الكريمتين ولا تصف السمع بمثل هذا وفي الحديث يقول الله تعالى
من اذهبت كريمتيه فصبر واحتسب لم ارض له ثوابا دون الجنة ه
ومنها انهم قالوا في المثل المشهور ليس ورا العيان بيان وذلك يدل
علي ان اكمل وجوه الادراكات هو الابصار ومنها ان كثيرا من الانبياء

وبيان

سمع

14

سمع الله وا ختلفوا في انه هل راه منهم احد ام لا وايضا فموسي عليه السلام اسمعه
الله تعالى كلامه من غير سبق سوال والتماس فلما طلب الروية قال لن تراني وذلك
يدل علي ان حال الروية اعلي من حال السماع وهذا هو الظاهر ولما حكم تعالى علي اهل
الشقاوة بالشقاوة بقضايه وقدره السابق فيهم اخبر تعالى ان تقدير الشقوة
عليهم ما كان ظلما منه بقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيا لان الله تعالى
في جميع احواله متفضل وعادل فيتصرف في ملكه في ملكه كيف يشا والخلق كلهم عبيده
وكل من تصرف في ملكه بالفضل والعدل لا يكون ظالما وانما قال تعالى ولكن الناس
انفسهم يظلمون لان فعلهم منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق
قضا الله تعالى وقدره فيهم ففي ذلك دليل علي ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب
الاختيار كما زعمت المجبرة وقرا حمزة بكسر النون مخففة ورفع السين ولما وصف
والباقون بنصب النون مشددة ونصب السين ولما وصف تعالى هولا الكفار
بقلة الاصغاء وترك التدبر اتبعه بالوعيد بقوله تعالى ويوم يحشرهم اي
واذكر يا محمد يوم يحشر هولا المشركين لموقف الحساب واصل الحشر اخراج الجما
وازعاجهم عن مكانهم كان اي كانهم لم يلبثوا في دنياهم والجملة في موضع الحال
من ضمير يحشرهم البارز اي مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة حقيرة من النهار اي
يستقصرون مدة مكثهم في الدنيا وفي القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم
اي يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال والجملة في موضع
الحال حال مقدرة متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم وقوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقا الله اي بالبعث يحتمل وجهين الاول ان يكون علي ارادة
القول اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك الثاني ان يكون كلام الله تعالى فيكون شهادة
من الله تعالى عليهم بالخسران والمعني ان من باع اخرته بالدنيا فقد خسر لانه اعطي الكثير
الشريف الباقي واخذ القليل الخسيس الفاني وما كانوا مهتدين اي الي رعاية مصالح
التجارة وذلك لانهم اغتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصاروا كمن راي زجاجة خسيسة
فظنها جوهرة شريفة فاشتراها بكل ما ملكه فاذا عرضها علي الناقدين خاب سعيه
وفات امله ووقع في حرقة الروع وعذاب القلب وقوله تعالى واما فيه ادغام ان الشرطية
في ما الزايدة نرينك يا محمد بعض الذي نعدهم به من العذاب في حياتك وجواب
الشرط محذوف اي فذاك او نتوفينك قبل ان نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك
ستراه في الاخرة وهو قوله تعالى فالينا بعد البعث مرجعهم فنريك هناك ما هو
اقر لعينك واسر لقلبك وقوله تعالى ثم الله شهيد علي ما يفعلون فيه وعيد
وتهديد لهم اي انه تعالى شهيد علي افعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم
القيمة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال كل الانبيا
عليهم السلام مع اقوامهم كذلك بقوله تعالى ولكل امة اي من الامم التي خلت
قبلك رسول يدعوهم الي الله تعالى وقوله تعالى فاذا جا رسولهم قضي بينهم بالقسط

عة

ح

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1